وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة(خميس مليانة)

كليّة الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مادةالأدب الصوفي

السنة الثالثة دراسات أدبية

الفوج(الأول، الثاني)

إعداد الأستاذ: محمد فراكيس

البريد الإلكتروني على:mohamedfrakis@gmail.com

السنة الجامعية:2021-2022م

محتوى المادة:

المادّة: الأدب الصوفي	السداسي الخامس	المعامل1	الرصيد1
1	مدخل إلى الأدب الصوفي		
2	نشأة الأدب الصوفي		
3	قضايا و مصادر الأدب الصوفي		
4	وحدة الوجود		
5	الحلول والاتحاد		
6	العشق الإلهي		
7	الحقيقة المحمدية		
8	جماليات الأدب الصوفي		
9	الرمز الصوفي		
10	اللغة الصوفية		
11	المصطلح الصوفي		
12	أعلام الأدب الصوفي (ابن الفارض،الحلاج،ابنعربي،الأمير عبد القادر،سيد بومدين)		
13	النثر الصوفي (تجربة البسطامي)		
14	الأثر الصوفي في الأدب الحديث و المعاصر		

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين، وبعد:

أيّها الطلبة الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

المحاضرة الأولى :مدخل إلى الأدب الصوفي

يُعدّ التراث الصوفي من بين مختلف ميادين المعرفة والإبداع التي خلفها الأوائل وحده ظلّ يثير أشدّ المواقف تضاربا وتناقضا، كما أثارها عصره، وما أنفك يثيرها في وقتنا الحاضر بتفاوت قليل، واختلاف يسير، تنأوله المؤرخون والعلماء والمسلمون كالطوسي والكلابذي والقشيري وغيرهم، كما ألّف فيه الفلاسفة كابن سينا والغزالي وابن خلدون، وتجادل فيه الفقهاء وعلماء الكلام إضافة إلى جهود المستشرقين، ولم يتفق هؤلاء على رأي واحد سواء تعلق الأمر بحدوده أو أصوله فاختلفت الآراء والمشارب حوله، فالتّصوّف ليس ظاهرة إسلامية خاصة بل إنّ جذوره تمتد في أي فكر ديني عموما، حتّى إنّ كثيرامن الدّارسين ربطه بأصول غير إسلاميّة كالمسيحية والهندّية والفارسيّة والفلسفة اليونانيّة، بينما يرفض رأي آخر هذه الصلات جملة وتفصيلا ويردّها إلى أصوله الإسلاميّة ومنابعه الأوّلى الكتاب والسنّة النبوية الشريفة.

إنّ موضوع التصّوف من الموضوعات الهامّة التي تتطلب جهدا كبيرا للفصل بين كلّ ما فيه من مصطلحات ومفاهيم باعتبار حقيقته إيثار وتضحية، فالتضحية بكل ملذّات الحياة ومتعتها، والإيمان بما هو باق على ما هو فانٍ، أي تضحية بالعاجل الدنيوي لكل ما هو مؤجل أخوي وذلك بواسطة مجاهدة النفس ومغالبة الأهواء.

وهو بذاته ثمرة كبرى في المعارف الإسلامية، وروح لمجموع حقائق الإسلام من عبادة وإيمان ويقين وعرفان، إذا تطورت دائرته بتقدّم الزمن من ظاهرة فردية بين الإنسان وربّه إلى ظاهرة اجتماعية كثر رجالها وأتباعها.

قبل البدء في الحديث عن الأدب الصوفي لابد من التعرض للتعريف بالتّصوف، وأصل كلمة "صوفية" ومصدر اشتقاقها.

معنى التصوف لغةً واصطلاحاً :

ماهو التّصوّف ؟ ومن الصّوفي؟

-التّصوف لغةً.

جاء في لسان العرب":صَوفَ بفتح الصاد والواو، وهو للضأن من الغنم كالشعر للماعز، وجمعه أصواف على وزن أفعال. وقد يطلق على تسمية للجمع باسم المفرد، والأسماء منه أصواف، و صَوفَ بفتح الصاد وكسر الواو، اسم لكبش الصوف، ويقال معناه:صائف وصاف وصوفاني، وللأنثى من صافة وصوفانة. وصاف عني شرّه، يصوف صوفا :عدل .وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف:عدل عنه"(1).

ويقول ابن فارس: (الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصّوف المعروف. والباب كله يرجع إليه. ويقال كبش أصوفُ وصوفٌ وصائفٌ وصافٌ. كلّ هذا أن يكون كثير الصّوف...فأما قولهم:صاف عن الشرّ، إذا عدل، فهومن باب الإبدال، يقال صاب إذا مات"(2).

من خلال التعريفات اللغوية يتّضح أنّ كلمة صوف تأتي إلى معنيين:

المعنى الأول:الصوف المعروف للشاة ونحوها. المعنى الثاني:الميل والعدول.

---

(1)ابن منظور أبو الفضل:لسان العرب،باب الصاد،دار صادر ،بيروت،د.ت،ج4/ص2527.

(2) أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ،الطبعة الأولى، القاهرة،ج3/ص322.

-التّصوف اصطلاحاً.

لقد اختلف المتصـوفة في تعريفه، وأصـله واشـتقاقه، بل اختلفوا هنا في تعريفه اختلافاً كثيراً حتى تناقضـت وتعارضـت تعريفاتهم، فلقد ذكر الطوسـي أكثر من عشـرين تعريفا، وأمّا القشـيري فقد ذكر في رسـالته أكثر من خمسـين تعريفا من الصوفية المتقدمين، وقال السهروردي: "وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول".

يقول معروف الكرخي:"التّصوف الأخذ بالحقائق واليأس ممّا في أيدي الخلائق"(1).

وقـد عرّفـه الجنيـد قـائلا:" التّصـوف أن تكون مع الله بلا علاقـة "(2). وقد عرَّف سمنون التّصوف بما يلي حين سُئل عنه فقال: "التّصوف هو أن لا تملك شيئاً ولا يملك شيء"(3).

وسئل عمرو بن عثمان المكي عن التصوف فقال : "أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت"(4).

وسئل النوري عن التصوف فقال: " من سمع السماع وآثر الأسباب"(5).

فهذه بعض تعريفات التّصـوف لدى أعلام الصـوفية، وكلٌّ منها يشـيرإلى جانب رئيسي في التصوف، ولايزال الباب مفتوحاً على مصراعيه لتعريف التصوف

---

(1) شهاب الدين السهروردي :عوارف المعارف ، طبعة دار المعارف ببيروت.ص62.

(2) المصدر نفسه، ص62

(3)أبوبكر الكلاباذي :التعرف لمذهب أهل التصوف ،مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى، ص34.

(4)أبو القاسـم عبد الكريم القشـيري: الرسـالة القشـيرية في علم التصـوف، مطبعة دار الكتاب العربي، لبنان ، 1287هـ، ص263..

(5) المصدر نفسه، ص265.

عند الصوفية.

ويمكن أن نجمع أهم ما جاء في معظم التعاريف السابقة بأنّ التصوف هو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به، وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات، وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة، وتحليته بالأخلاق الحسنة.

اشتقاق كلمة التّصوف:

اشتقاق كلمة التّصوف لم يعرف له مصدر محدد من قبل أكثر الباحثين سواء من الصوفية أو من غيرهم ولكنّهم ذكروا عدّة أوجه لتحديده الشيء الذي قد تكون مشتقة منه.

الأول: أنّ هذه الكلمة (التصوف) نسبة إلى الصفاء، وقد ردّ هذه النسبة القشيري"(1). ولكن كلمة الصفاء تنسب إلى" صفويّ "وليس إلى" صوفي.

الثاني: أن تكون منسوبة إلى الصفة" نسبة "إلى أهل الصفة الذين كانوا يجتمعون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و"الصفة" هي السقيفة التي كان الفقراء المتعبدون يجتمعون تحتها. لكن هذه النسبة باطلة لغوياً وواقعياً، لأنّ المنسوب إلى الصفة في علم الصرف تجيء(صفيّ) وليس(صوفيّ.)

الثالث: التّصوف نسبة إلى رجل يقال له صوفة، واسمه العوث بن مرّ، وإنّما سمي صوفة، لأنّ أمّه نذرت لأن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة، فكان أوّل من تفرّد بخدمة بيت الله الحرام وانتسب إليه قوم في الجاهليّة فسمّوا (صوفيّة) وقد انقطعوا إلى الله عزّ وجلّ وقطنوا الكعبة، فمن تشبّه بهم فهم الصوفيّة"(2).

---

(1)انظر: الكلاباذي:التعرف لمذهب أهل التصوف، ص8.

(2) انظر:عبد الرحمن بن الجوزي : تلبيس إبليس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 1633.

ونفهم من هذه النسبة بأنّ المتصوّفة ينتسبون إلى أناس من أهل الجاهليَّة لم يعرفوا الإسلام، وإذا صحت مثل هذه النسبة فإنّ القوم قد حكموا على أنفسهم بأنّهم ينتسبون إلى أقوام في الجاهلية.

الرابع: أن تكون نسبة هذه الكلمة إلى (صوفانة) وهي بقلة رعناء قصيرة، ونسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء، وهذا أيضا لا يصح لغوياً لأنّه لو نسبوا إليها لقيل للواحد منهم صوفاني"(1).

الخامس: أن تكون نسبة هذه الكلمة إلى الصوف، فيقال : تصوّف: لبس صوفا، وتقمّص : لبس قميصا، ويعتمدون بذلك على أنّ الصوف لباس النسّاك اتخذوه قهرا للنفس، فقد كان لبسه شعارا لهم. وقد ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون"(2). يقول أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام: "وقد اختلف النّاس في نسبة الكلمة هل هي من الصفة، أو من الصفاء، أو من صوفيا وهي باليونانية بمعنى الحكمة .أو من الصوف والراجح أنها نسبة إلى الصوف"(3).

وذهب أكثر الدارسين من المستشرقين كنيكلسون ونولدكه وجيوم

إلا أن النساك المسلمين الذين أخذوا لفظ المتصوفة اسما لهم إنّما لبسوا الصوف محاكاة للرهبان المسيحيين.

وهو القول الراجح لأنّ القوم كانوا يلبسون الصوف كثيراً اقتداء برهبان النصارى، وابتعدوا عن الرفاهيّة والرّاحة الجسمية رغم أنّ الإسلام لم يأمر بتعذيب الجسد ولا بلباس معين، بل الإسلام أباح لنا أنْ نأكل من الطيبات.

---

(1)المصدر السابق، ص 163.

(2)انظر: عبد الرحمن بن خلدون :المقدمة ،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،ا2004م، ص 467.

(3)أحمد أمين :ظهر الإسلام، ص150.

الأدب الصوفي:

للتصوف علاقة وطيدة بالأدب نثرا وشعرا، إذ استعان المتصوفة بالشعر للتعبير عن مجاهداتهم وشطحاتهم العرفانية، كما استعانوا بالنثر لتقديم قبساتهم النورانية وتجاربهم العرفانية الباطنية.

يحمل الفكر الصوفي بين طياته عالما فريدا من الرؤى النورانية الشفافة، ترقى الصوفية من خلالها في مراتب الصفاء والسمو الروحي، وهاموا في عوالم الباطن والوجود، فأتحفوا التراث الشعري العربي بالعديد من القصائد المتوهجة صدقا

وعاطفة وإبداعا منقطع النظير، ذلك أن الشعر هو المجلى الأوسع للتعبير الصوفي،

لما يتمتع به من إمكانات خاصة للإشارة إلى أسرار المعنى العرفاني الذي لا تطيقه العبارة، فقد شكلت نصوصهم بوحاخفيا عما يخالج النفس من غربة تعتريها في خلواتها، وما يساور الروح من مشاعر استثنائية تطالع السالك في طريقه إلى الله. ولأن الشعر الصوفي تعبير عن تجربة كشفية ذوقية، فقد تميز عن سائر أنواع وأغراض الشعر بكونه ممارسة عرفانية ونصية في الوقت ذاته، اعتملت فيها حرارة الوجدان وصدق العاطفة، فأفرزت عبر تراثها العتيد تعددية في المعنى ولا نهائية في القراءات، دفعت الدارسين إلى الاجتهاد في محاولة فهم وتأويل الإشارات والتلويحات التي تفيض بها عبارات هذا النوع من الخطاب الفاتن الشاطح، لرفع النقاب عن خصوصية تجربة المبدع، فرغم أن الصوفية جميعا يشربون من نبع واحد هو نبع المحبة الإلهية، ويسافرون في رحلة عروج في اتجاه واحد هو الحق تعالى، إلا أن لكلّ صوفي مسلكه الخاص في هذه الرحلة، وثقافته وطريقته في التعبير عن تجربته.

يقول **أحمد أمين** : متحدثا عن الأدب الصوفي باعتباره": أدب غني في شعره غني في فلسفته، شعره من أغنى ضروب الشعر وأرقاها، وهو سلس واضح وإن غمض أحيانا، وفلسفته من أعمق أنواع الفلسفة الإلهية وأدقها، ومعانيه في نهاية السمو تقرؤها فتحسب أنك تقرأمعاني رقيقة عارية لا ثوب لها من الألفاظ، خياله رائع يسبح بك في عالم كله جمال وعواطف صادقة يعرضها عليك كأنّها كتاب إلهي تقلبه أنامل الملائكة يقدس الشعراء فيه الحب ولابد أن يكون الإنسان هائما أيضا مسلحا بكثير من الأذواق والمواجيد والحالات التي يعتقدها المتصوفة حتى يسايرهم في الفهم".

قائمة المصادر والمراجع:

(1)ابن منظور أبو الفضل:**لسان العرب**،باب، دار صادر ، بيروت،د.ت.

(2) أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : **معجم مقاييس اللّغة**، الطبعة الأولى، القاهرة.

(3)- أبوبكر الكلاباذي :**التعرف لمذهب أهل التّصـوف**، مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى،(د.ت).

(4) أبو القاسـم عبد الكريم القشـيري: **الرسـالة القشـيرية في علم التصـوف**، مطبعة دار الكتاب العربي، لبنان ، 1287هـ.

(**5**)أحمد أمين :**ظهر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 5، 1969م.

(7) عبد الرحمن بن الجوزي : **تلبيس إبليس**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

(2) عبـد الرحمن بن خلـدون :**المقـدمـة** ، دار الفكر للطبـاعـة والنشـــر، بيروت، لبنـان 2004،م

- شهاب الدين السهروردي :**عوارف المعارف** ، طبعة دار المعارف، بيروت(د.ت).